

أسهم الخطراوي إسهامًا فاعلاً في إثراء هذه النشاطات والفعاليات، من خلال إصداراته في الشعر والنثر، إضافة إلى حضوره في مجال الإذاعة والصحافة.

ولقد أخذت المدينة المنورة موقعها الأثير في أدب الخطراوي، لتخلق أرواحنا معه بجمال طبيعتها، ومتانة أصالتها، وعميق طهرها من خلال ديوانيه (ثرثرة على ضفاف العقيق)، و(على أعتاب المحبوبة).

فقد تصوتت المدينة بالريحان، وعزف الشعراء أجمل ألحانهم في حبها، فهي مدينة العفاف والجمال، وللخطراوي في حبها عشق، ترجمه نغمة شاعرية في قصائده، أضاءت كلماته؛ ومولده بها كان سبباً آخر في تعلقه بحبها، حيث اتصل روح الشاعر بها.^(١)

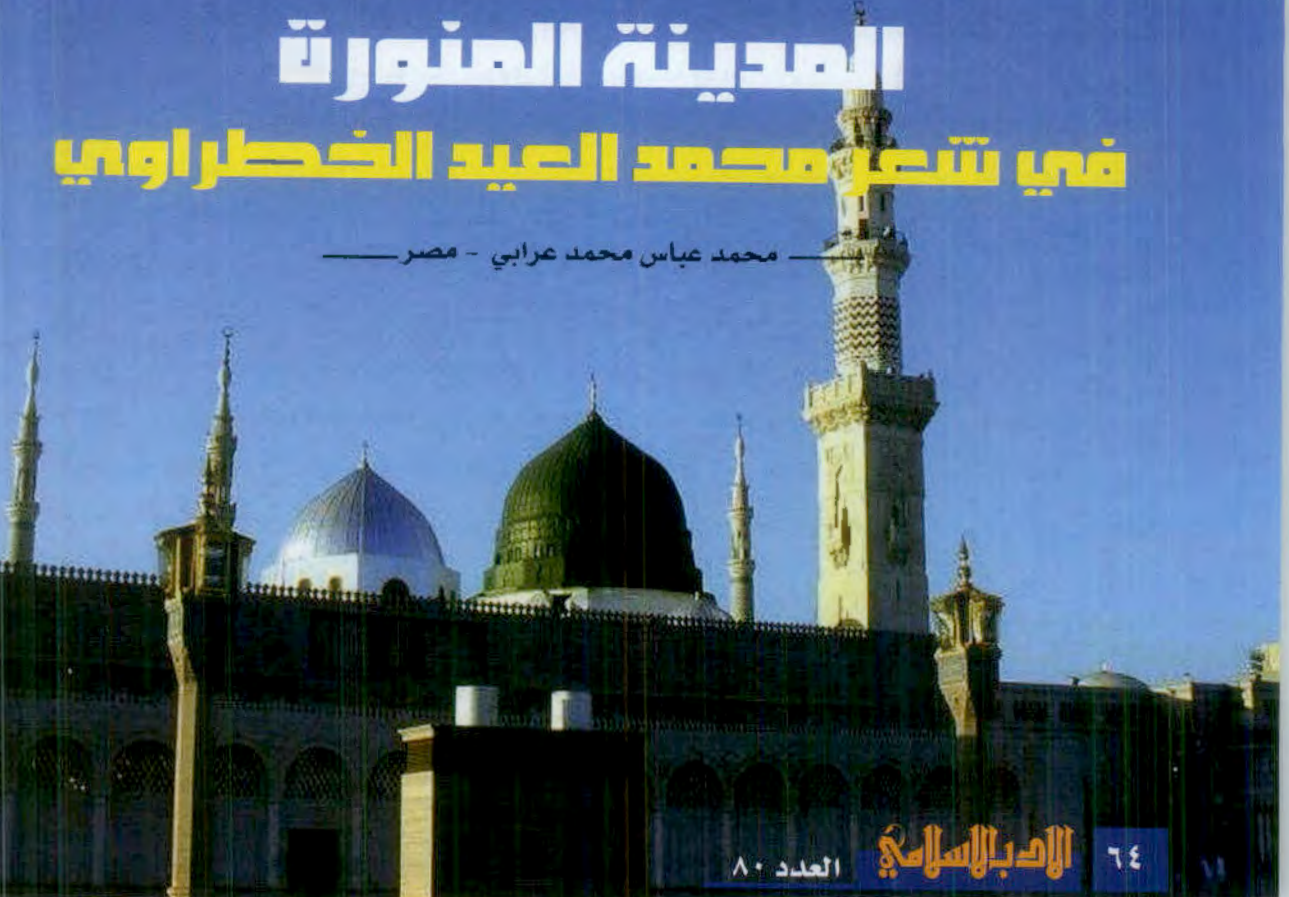
وفي هذا المقال أحاول إلقاء الضوء على العلاقة بين المدينة المنورة ومحمد العيد الخطراوي في شعره من خلال العناصر التالية: افتخار الخطراوي بالمدينة المنورة، التفتي لطيبة الطيبة، معالم المدينة المنورة في شعر الخطراوي.

يعد محمد العيد الخطراوي من الشعراء السعوديين المؤسسين لأسرة الوادي المبارك (نسبة لوادي العقيق بالمدينة المنورة)، وهي من تلك الأسر الأدبية والمجالس الثقافية الجادة في الاضطلاع بحركة التنوير، ونشر الثقافة والتواصل مع العديد من العلماء والمفكرين، والمتقنين والأدباء في المملكة والعالم الإسلامي، الذين كانوا يزورون المدينة المنورة، ويلقون محاضرات فيها، وتوجت جهود تلك الأسرة الأدبية بتأسيس النادي الأدبي الثقافي بالمدينة المنورة عطفاً على ما أقامته من نشاطات وفعاليات كانت جزءاً من الحياة الأدبية والثقافية في طيبة الطيبة.

المدينة المنورة

في شعر محمد العيد الخطراوي

محمد عباس محمد عرابي - مصر





محمد الخطراوي



«التغني لطيبة الطيبة»

وفي قصيدته (على ضفاف البيان)، نراه يخلق بالأفق في التغني بطيبة الطيبة، ويرسل أجمل وأرقى الألحان لحبيبته وعشيقته التي يظل يذكرها، ويعطر أنفاسه باسمها، وهو يعيد ماضيها وأحوال الأنصار بها، ذاكرًا ثناءه على الأوس والخزرج، وهو يعتبر نفسه منهم، إذ يقول:

هذه ليلة يتيه بها الشعر

ويزهو على ضفاف البيان

تتحدى الأفاق شرقا وغربا

بمذاخير من عقود الجمان^(١)

إلى قوله:

«افتخار الخطراوي بالمدينة المنورة»

ولد الخطراوي في هذه المدينة المباركة، حيث مسجد المصطفى ﷺ لا يغيب عن ناظره، ينعم بعبقه الروحي وفضله الخالد، إضافة إلى ما في كل موضع من المدينة وما جاورها من ذكرى عظيمة، وتاريخ إسلامي عظيم، حيث سيرة الرسول ﷺ وهجرته ودعوته، وآثار صحابته الأعلام، وأئمة الإسلام الذين ساروا خلفهم من التابعين وأتباعهم على مدار الأزمان. فها هو ذا شاعرنا الخطراوي فخورٌ بحبيبته طيبة الطيبة، رافعًا هامته إلى الأعلى لا يبالي بأحد، اعتزازًا بمجاورة خير الأنام، حيث يقول في قصيدته أنا في طيبة:

أنا في طيبة أتيه على الدهر

ر وأمشي على رؤوس الليالي

حاملا مشعل الفخار أغني

بشموخ في موكب الآمال

شامتني في العلا تباهي الثريا

ويدي تستبيح دنيا المحال

في يميني الشمس تمضي تشاوي

والبدور الوضاء حذو شمالي^(٢)

وطيبة الطيبة لا يمل ولا يكل من يتغنى بها، فالجمال الذي يتمثل في محياها بديع جميل، فالخطراوي يطلب من المتلقي عدم لومه في التعبير عما في خافقه من تدفق شعري مليء بالروح الدينية العبقة، فيقول:

لا تلوموه إن تباهى وغنى

في حمى طيبة لحنون الجمال

إنما الشعر يستطاب إذا ما

جاء مستلهما دروب الكمال^(٣)



واسقياني رحيق يثرب صدقاً
وانضحاني من عطرها الريان
فلعلي أعيد للشووط ذكرى
تنعش الأوس في حمى بطحان
ولدى الخزرج الكلام أواي
مجمع الفخر في يدي حسان^(٥)

«معالم المدينة المنورة»

تجد تجليات المكان بارزة في جلّ نتاج الخطراوي
أديب المدينة المنورة، إذ يمثل بإشراقاته النورانية،
وأثاره التاريخية الخالدة، وهو من أهم دوافع الكتابة
عند الخطراوي والملمهم الرئيس له، وهذه الأمكنة
بعظمتها وهيبتها تضي بظلالها الروحية على
أشعاره بعداً رمزياً ودلالياً.

«المسجد النبوي»

يرسم الخطراوي للمسجد النبوي أجمل
الأشكال، ويفرد له أسمى الألحان، وكيف لا
وهو محط ركاب الرسول ﷺ، ومبرك ناقته
القصواء، ذاكر جميل الملك فهد بن عبد العزيز
-رحمه الله- حيث كانت له يد الطولى في توسعة
المسجد النبوي الشريف، الذي أصبح يسع مليون
مصل تقريباً، حيث يقول في قصيدة بعنوان (في
ظلال البيعة):

وعلى طيبة من مسجده

بسمات الحب تهدي التائهين

مسح الضهد على أكنافها

وبناها خدمة للمؤمنين

يا ثناء عاطراً أبنا به

شاع في الحجاج والمعتمرين^(٦)

«الروضة الشريفة»

يصف الخطراوي الروضة في مطلع قصيدته
والمصلون فيها خاشعون بين قائم وراكع وساجد،

في روحانية وخشوع، حتى أصبحت للشاعر أمنية أن
يصلي بها، ويتعبد بأفائها، فيقول في مطلع قصيدته
التي عنوانها (الروضة الشريفة):

ورحاب كأنها الجنة الخلد

د بأفائها يطيب وجودي

تتندى بها الأماني وتهمي

فوق رأسي بها سحائب جود

والمرايا في كل صوب صلاة

وخشوع ومحفل للخلود^(٧)

«جبل أحد»

«البقيع»

يدعو الخطراوي لنفسه إذا نزل المكتوب، وادلهمت الخطوب، بأن يكون ضريحه في البقيع المبارك حيث دفنت ثلة مباركة من آل بيت الرسول ﷺ، وأصحابه الكرام رضي الله عنهم، وخيرة من التابعين والصالحين على مر العصور، وما زال إلى يومنا هذا يوصي بعض الصالحين والعلماء أن يكون دفنهم في تلك البقعة المباركة، فيقول الخطراوي:

وإذا قدر الإله مماتي

واطمانت رواحلي للروح

فادع لي صاح أن يكون ضريحي

في جنان البقيع في خير ساح

ذاك حلمي ومنيتي وطريقي

لرضا خالقي وفخر المتاح^(١٠)

رحم الله الشاعر محمد الخطراوي، وحقق له دعاءه في المغفرة، وآواه في الجنان في الآخرة؛ كما حقق له مراده في أن يدفن في تربة البقيع في جوار الصالحين من هذه الأمة في الدنيا ■

امتزج الجماد بالإنسان، والجانب المادي بالجانب الروحي عند الخطراوي، وجبل أحد معلم من معالم التاريخ والأمجاد الإسلامية، التي طالما فخر بها المسلمون على مدار التاريخ، فهو الباعث للمجد والعز والقوة التي تدفع بالأمة إلى الرقي والسؤدد والتمكين في الأرض، فتجد شاعرنا يصور لنا كيف كان شموخ جبل أحد أثناء الحرب، فيقول في قصيدته (أحد الجبل.. أحد الفكرة):

(أحد)، والمساء والغيمة الخضراء

ء والمجد والهوى الممتول

والميادين والسفوح صلاة

والأمانتي توقع وذمول

والخيول العتاق يلوي بها الشو

ق ويفري زمامها المجهول^(٨)

«وادي العقيق»

أفرد الخطراوي ديواناً خاصاً بالعقيق، أسماء (ثرثرة على ضفاف العقيق)، وبسبب معرفة الخطراوي بتاريخ المدينة المنورة، وتتبعه وتأمله لهذا التاريخ نراه يبين لنا ما دار في ليالي وادي العقيق الخوالي، فيقول:

فكأنني بعود عزة جاست

عبر أوتاره أكف اللسان

فتوالت أنغامه ماتعات

مائجات بأعذب الأبحان

وكأنني بمعبود وغريض

سرق النوم من عيون الفوالي

بغناء موقّع عبقري

في عراض العقيق دون عنان^(٩)

الهوامش:

(١) الحربي، عيد الرحمن، النزعة الدينية في شعر محمد المديد الخطراوي، ص ١. رسالة ماجستير (٢٠١٠م)، جامعة مؤتة، الأردن.

(٢) الخطراوي، تفاصيل في خارطة الطقس، ص ٧. نشر نادي المدينة المنورة، ١٤١١هـ.

(٣) الخطراوي، تفاصيل في خارطة الطقس، ص ٨.

(٤) المرجع نفسه ص ٢٠.

(٥) المرجع نفسه، ص ٢١.

(٦) الخطراوي، على أعتاب المحبوبة، ص ١٣٠-١٣١، نشر نادي المدينة المنورة ١٤٢٥ هـ.

(٧) المرجع السابق، ص ١٠٦.

(٨) الخطراوي، على أعتاب المحبوبة، ص ٦٣.

(٩) الخطراوي، تفاصيل في خارطة الطقس، ص ٢٢-٢٣.

(١٠) الخطراوي، على أعتاب المحبوبة، ص ١١٦-١١٧.